دور الحوار والتسامح في تعزيز التعايش السلمي في المجتمع

د. مهدي أمين الستوني

جامعة سوران- كلية القانون والعلوم السياسية والإدارة

قسم العلوم السياسية والعلاقات الدولية

الملخص

يعتبر الحوار والتسامح والتعايش السلمي من المواضيع الرئيسية اليوم، بل أصبحا من أكثر المواضيع الفكرية الملحة للنقاش والتداول في العالم بسبب ما يعنيه المجتمعات من نزاعات وصراعات نشأت معظمها من التطرف المذهبي والتمييز الإثني وطائفية ولغوي وديني. بحيث أصبحت هذه النزاعات هي السبب الرئيسي لما يتعرض له المجتمعات في الشرق الاوسط من إبادات جماعية وهناك الكثير من الأمثلة التي تأكد هذه النظرية. لكن إذا استطاعنا من تفعيل الحوار والتسامح في مجتمعاتنا بذلك نستطيع التغلب على نزاعات سالفة الذكر في مجتمعاتنا ونحقق التعايش السلمي ونعيش في وئام. تسلط هذه الدراسة الضوء على ظاهرة الحوار والتسامح والدور التي تلعبه هذه الظواهر في تعزيز التعايش السلمي في مجتمعاتنا وتقوم بدراسة الآليات العوامل التي تساعد في تعزيزونشر ثقافة التعايش السلمي للوصول إلى مجتمع بعيد عن النزاعات وبناء مجتمع على اساس المواطنة وثقافة قبول الآخر.

الكلمات الدالة:

الحوار الثقافي, التسامح, التعايش السلمي.

المقدمة

لا يخفى على أحد أن فكرة التعايش برزت مع تكوين المجتمعات، قامت على أساس التشابه بين افراده،وكلما اتسع نطاق التكتل البشري ضعف عنصر التشابه بين أفراده ومعه زادت ضرورة التعايش, وإذا كان هذا التعايش في مدلوله اللغوي العام يعني أن يعيش البعض مع البعض الآخر،، فإنه في مفهومه الاصطلاحي المعاصر،يقصد أن يكون هذا العيشة المتبادل قائما على المسألة والمهادنة. ومن هنا جاء مصطلح التعايش السلمي، والمتأمل في مصطلح التعايش السلمي من حيث عمق دلالته، وحتى من حيث صرفه وتركيبه في مختلف اللغات، ينتهي إلى أنه يعكس وضعية تتأرجح بين السلم من معناه الواضح الصريح وبين الحرب في مدلولها القديم المتعارف عليه.

إشكالية الدراسة: تمحورت إشكالية الدراسة حول تحديد مفهوم الحوار والتسامح والتعايش السلمي لغة واصطلاحا، وتحديد أنواع كل منها، والتحقق من وجود هذه المبادئ التي اصبح وجودها ضروري في بنا مجتمع مثالي.

فرضية الدراسة: لحل الإشكالية التي تتمحور حولها هذه الدراسة، فإننا تفترض:

أولاً: إن متطلبات المرحلة التاريخية التي تمر بها البشرية اليوم، يستدعي على أن الخير والسعادة، والتنمية الحضارية، التي ينشدها البشر لا تتأتى إلا في ظل التعايش السلمي والوئام التام بين كافة أطياف المجتمع.

ثانيا:إن التسامح يعني القبول بوجود الآخر المختلف، والاعتراف به، واحترام اختلافه، أيا كان موضوعه أو نوعه أو درجته، وأن للتسامح أنواعا مختلفة عرفتها المجتمعات والحضارات القديمة كفكرة وممارسة على الرغم من خلوها من مفردة التسامح

منهج الدراسة: اعتمدت الدراسة على المنهج التحليلي لمعرفة مفهوم الحوار والتسامح وأنواعه والمدخل التاريخي لمعرفة نوع التسامح في الحضارات القديمة

هيكلية الدراسة: للتحقق من صحة فرضية الدراسة، فقد تم تقسيمها إلى ثلاثة مباحث وخاتمة:

المبحث الاول يسلط الضوء على مدخل مفاهيمي للمفاهيم الدراسة والمبحث الثاني يتحدث عن دور الحوار والتسامح في تعزيز التعايش السلمي في المجتمع. والمبحث الثالث عن دور ثقافة التسامُح في تعزيز التعايش السلمي في المجتمع:

1. مدخل مفاهيمي أولي.

1.1 مفهوم الحوار لغةً واصطلاحاً

يحمل مصطلح (الحوار) دلالات عدة، ففي الجذر اللغوي له: (حَورَ) يشير الى معانٍ، منها: قال ابن منظور في لسان العرب: "الحَوْرُ: الرجوع عن الشيء وإلى الشيء، وهم يتحاورون: أي يتراجعون بالكلام (الأنصاري، 2006). وتعود أصل كلمة الحوار إلى (الحَوْر) وهو الرجوع عن الشيء وإلى الشيء ، يقال : (حار بعدما كار) ، والحوْر النقصان بعد الزيادة لأنه رجوع من حال إلى حال ، وفي الحديث الشؤيف : (نعوذ بالله من الحور بعد الكور)

(الحسين، 1991) ... معناه من (النقصان بعد الزيادة) ، التحاور : التجاوب ، تقول : كلمته فما حار إلي جواباً ، أي : ما رد جواباً (الأنصاري، 2006), ، قال تعالى (إنه ظن أن لن يحور) (سورة الانشقاق : 14) ، أي : لن يرجع ، وهم يتحاورون أي : يتراجعون الكلام ، والمحاورة : مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة (الأنصاري، 2006). وفي القاموس المحيط (تحاوروا : تراجعوا الكلام بينهم) (الفيروزآبادي، 2008), (أحمد، 2004). أما في تاج العروس : فيقصد بالمحاورة (المجاوبة ومراجعة النطق والكلام في المخاطبة) (الزبيدي، 1414هـ). لذا نستطيع أن نقول الحوار في مصطلح اللغوي (هو نشاط عقلي ولفظي يقدم المتحاورن فيه الأدلة والحجج والبراهين التي تبرر وجهات نظرهم بحرية تامة من أجل الوصول إلى حل لمشكلة أو توضيح لقضية ما) (نصر، 1270هجري). إذاً فالحوار هو تراجع الكلام والتجاوب فيه. وهذا يتطلب ممن يتصدى للحوار أن يكون مستعدًّا لتقبل الرأي الآخر إذا كانت البراهين والحجج تسانده، فلا يكون حوارًا ما يتمسك فيه كل طرف برأيه ولا يحيد عنه.

في الاصطلاح: الحوار هو "محادثة بين شخصين أو فريقين حول موضوع محدد لكل منهما وجهة نظر بعيدا عن الخصومة أو التعصب بطريق يعتمد على العلم والعقل مع استعداد كلا الطرفين لقبول الحقيقة ولو ظهرت على يد الطرف الآخر". (عجك، 2007), وقد عرفه بعضهم بأنه نوع في الحديث بين شخصين، وفريقين يتم فيه تداول الكلام بينهما بطريقة متكافئة، فلا يستأثر أحدهما دون الآخر ويغلب عليه الهدوء والبعد عن الخصومة والتعصب، وهو ضرب من الأدب الرفيع وأسلوب من أساليبه (زمزمي، 1994). ومع ذلك: فإن استخدام مصطلح الحوار وتداوله في الأدبيات المعاصرة لم يبتعد كثيرًا عن مفهومه اللغوي، حيث نجد أن: "الحوار هو المراجعة في الكلام، أو الأخذ والرد بين شخصين أو طرفين، لكل منهما مفاهيمه أو أفكاره أو آراؤه أو مقترحاته، وتجاذب أطراف الحديث بين شخصين أو أكثر يُهدف منه الوصول إلى لغة مشتركة ومفاهيم متقاربة وتشخيص موحد، إن أمكن، للأشياء كلها، وللمشكلات كافة" (السحمراني، 2019). هناك فرق بين الحوار والجدال هو أن الجدال شدة في الكلام، مع التمسك بالرأي والتعصب له، وأما الحوار فهو مجرد مراجعة الكلام بين الطرفين دون وجود خصومة بالضرورة، بل الغالب عليه الهدوء والبعد عن التعصب، وفرق بين الحوار والمناظرة بأن المناظرة تدل على النظر والتفكر، الحوار يدل على مراجعة الكلام وتداوله (زمزمي، 1994).

الحوار وفق ما تقدم ذكره، له أصل ثابت في منهاج الله تعالى قرآناً وسنةً, وهو ينبثق من تأثيرات وأحاسيس تجيش في النفس لإظهار مبدأ، أو تصحيح خطأ، أو نصرة حق، أو غير ذلك مما جبلت عليه النفوس البشرية، والمحاورة والمناظرة والجدل ألفاظ قريبة من بعضها، إلا إن مصطلح الحوار يفوقها دلالة، كما إن الحوار يعد من أهم وسائل التفاهم بين الناس، وهو من أهم وسائل المعرفة والاقناع بين مختلف الثقافات والتوجهات (علي، 2020).

من خلال هذه التعريفات يمكننا القول أن مفهوم الحوار هو: تبادل الآراء والأفكار بين طرفين أو أكثر حول موضوع معين بحث يكون الطرفان متكافئان وبعيدًا عن التعصب؛ للتوصل إلى مفاهيم مشتركة أو متقاربة.

1.2 مفهوم التسامح لغةً واصطلاحاً

التسامح لغة: مشتق من السماحة ويقال : اسمح وسامح أي وافقني على المطلوب، والمسامحة: المساهلة، وتسامحوا: تساهلوا، السماح رباح أي المساهلة في الأشياء تربح صاحبها, وسُمح أي جاد بما لديه (الأنصاري، 2006). ومادة (سمح) تدل على سلَاسةٍ وَسُهولةٍ. والمسامَحة: المساهَلة، وسمح بكذا يسمح سُمُوحًا وسَماحه: جاد وأعطى، أو وافق على ما أريد منه (العربية، 1989). ويأتي السماح في قاموس المنجد بمعنى الجود والكرم والتساهل، فسمح: وسماحة العود بمعنى ساهل ولان، وسامح في الأمر ساهله سماحا ولاينه ووافقه على مطلوبة، وتسامح: تساهل، والتسامح التساهل (معلوف، ١٤٢٣هـ) وبما أن الدلالة اللغوية لمفهوم التسامح تستبطن المنة والكرم، وتشير إلى وجود فارق أخلاقي بين التسامح (بالكسر) والتسامح معه (بالفتح)، فليس هناك مساواة بين الطرفين، وإنما يد عليا واهبة، ويد سفلى متلقية، وهو مقتضى المنة والكرم دائما (دواح، 2019). وهذايعني أن كلمة التسامح لا تحمل في اللغة العربية شيئا من المعاني اللغوية الغربية ولا الاصطلاحية الحديثة للتسامح لأنها لا تنطلق في دلالتها هذه من مبدأ المساواة الذي يعد شرطا في الدلالة الحديثة للتسامح (وطفة، ٢٠٠٥).

التسامح اصطلاحاً: على الرغم من اختلاف المفهوم اللغوي للتسامح عربيا وغربيا ، إلا أن الكثير من الباحثين والكتاب العرب المعاصرين حرصوا على عدم الارتهان إلى معانيه ودلالاته اللغوية العربية محاولين أن يواكبوا في ذلك الرؤية الغربية التي تجاوزت المعنى اللغوي الأصلي للكلمة ، والاعتراف بأنها تطورت وأصبحت تتضمن اصطلاحيا عنصرين أساسيين يتفاعلان: الحق والواجب، حق الفرد أو الجماعة في الاختلاف من جهة، وواجب الفرد أو الجماعة في احترام حق الغير في الاختلاف من جهة أخرى (النداوي، 2008). برز مفهوم التسامح في نهايات القرن السادس عشر الميلادي في الغرب بعدما شهد الناس ويلات الحروب الدينية المتلاحقة في وسط أوروبا. وأصبح التسامح منذ القرن السابع عشر محل دراسة وبحث، ولا يخفى أثر تحرر الفكر من سلطة الكنيسة في أوروبا في نشوء مفهوم التسامح. وهو يعني القدرة على احترام الاختلاف مما يؤدي إلى إمكان ممارسة الافراد والجماعات للعلاقات في جو من المساواة، وينطوي هذا المعنى على كون المتسامح فيه غير مقبول عند المتسامح من حيث الاصل، لأن قبول الإنسان بشيء يستدعي إنشاءه واجبات للغير عليه، وقبوله بحقوق الغير (الدين، 2009),

ويحدد محمد عابد الجابري المعنى الاصطلاحي الحديث للتسامح بأنه يعني: لا أن يتخلى المرء عن قناعته، ولا أن يكف عن إظهارها والدفاع عنها والدعوة لها، بل يعني الامتناع عن استعمال أية وسيلة من وسائل العنف والتجريح وبكلمة

واحدة: احترام الآراء وليس فرضها (الجابري، ١٩٩٧), أي أن التسامح يعني: احترام الحق في الاختلاف والحق في التعبير الديمقراطي، ويعني القدرة على تحمل الرأي الآخر والصبر على أشياء لا يحبها الإنسان ولا يرغب فيها بل يعدها ذلك دلالة التسامح اصطلاحيا أحيانا مناقضة لمنظومته الفكرية والأخلاقية. ويعني التسامح أيضا: أن نحيى نحن والآخرون على الرغم من اختلافاتنا في عالم واحد يضمنا، ويتجلى ذلك في الاستعداد لتقبل وجهات النظر المختلفة فيما يتعلق باختلافات السلوك والرأي دون الموافقة عليها (النداوي، 2008). وعليه فإن التسامح يعني قبول واحترام وتقدير التنوع الثري لثقافات عالمنا وأنماطه التعبيرية المختلفة وطرق تحقيق كينونتنا الإنسانية، فهو تناسق في الاختلاف، وهو ليس واجب أخلاقي فقط بل وواجب سياسي وحقوقي أيضا، وهو فضيلة تعمل على إحلال ثقافة السلام محل ثقافة الحرب، وهو ليس مجرد إقرار ولا مجرد تنازل أو تجاوز بل هو موقف فعال مدعوم بالاعتراف بالحقوق العالمية للإنسان والحريات الأساسية للآخرين (علي ي.، 2006). وبذلك يبنى التسامح على قاعدة (عش ودع الآخرين يعيشون) عن طريق تشكيل جماعات منفصلة في المجتمع، يستطيع الناس أن يمارسوا فيها اعتقاداتهم وأساليبهم المتنوعة في الحياة ليس فقط بعدم التدخل في شؤونهم وممارستهم الدينية المختلفة، بل ولا بد أيضا من فهم آرائهم واحترامها. ويحتاج المجتمع المدني إلى التسامح والاحترام المتبادل لأن التسامح فضيلة مدنية على درجة عالية من الأهمية (ديلو، 2008). التسامح إذا هو احترام الموقف المخالف؛ وللتسامح دور مهم في تحقيق وحدة المجتمع وتضامنه، ومتاسكه، والقضاء على الخلافات" والصراعات بين الافراد والجماعات، والتسامح يعني احترام ثقافة الآخرين وعقيدتهم وقيمهم، وهو ركيزة" أساسية لتعزيز حقوق الانسان، والتعايش السلمي والديمقراطية والعدل والمساواة ، والحريات العامة للإنسان في المجتمعات.

1.3 مفهوم التعايش السلمي:

التعايش لغة:" يرد في معاجم اللغة العربية كلمة عيش: العيش، أي الحياة، ،وعيش، والعيشة ضرب من العيش، يقال: عاش عيشة، وعيشة أو معاشا عاش يعيش عيشا صدق وعيشة سوء، والمعيشة ما يعاش به، والعيش: المطعم والمشرب وما تكون به الحياة، قال الجواهري: كل واحد من قوله معاشا ومعيشا يصلح أن يكون مصدرا وأن يكون اسما" (الأنصاري، 2006). وجاء في المعجم الوسيط مادة (عيش) "عَايَشَه: عاش معهُ، عيَّشه: أعاشه، وتعَايشُوا: عاشوا على الآلفة والمَوَدَّة ومنه التعايش السِّلميّ, ، والعيش معناه الحياة، وما تكون

به الحياة من المطعم" (العربية، 1989). و جاء في معجم القاموس المحيط في مادة (عاشَ) عاشَ يَعيش ، عِشْ ، عَيشًا وعِيشةً ، فهو عائش :- عاش الشّخصُ كان ذا حياة :-عاش عيشةً راضية/ في سلام/ أيّامًا سعيدة، - ما استحقّ أن يولد من عاش لنفسه فقط، - سئمت تكاليفَ الحياة ومن يعشْ ... ثمانين حَوْلا، - لا أبا لك، - يسأمِ:- عاش الأحداثَ: عاصرها، أدركها، - عاش حياتَه بالطول والعرض: بجميع الأشكال والصور، - عاش عالةً على غيره: عاش يعتمد على غيره فيما يحتاج إليه من طعام وكساء وغيرهما متطفلاً عليهم، - عاش في الظِّلّ/ عاش بعيدًا عن الأضواء: عاش بعيدًا عن النَّاس منعزلاً، - عاش لمبادئه: كرس حياتَه لها (الفيروزآبادي، 2008).

التعايش إصطلاحاً: لا يخفى على أحد أن فكرة التعايش برزت مع تكوين المجتمعات، قامت على أساس التشابه بين افراده،وكلما اتسع نطاق التكتل البشري ضعف عنصر التشابه بين أفراده ومعه زادت ضرورة التعايش, وإذا كان هذا التعايش في مدلوله اللغوي العام يعني أن يعيش البعض مع البعض الآخر،، فإنه في مفهومه الاصطلاحي المعاصر،يقصد أن يكون هذا العيشة المتبادل قائما على المسألة والمهادنة (رشيد، 2020). ومن هنا جاء مصطلح التعايش السلمي، والمتأمل في مصطلح التعايش السلمي من حيث عمق دلالته، وحتى من حيث صرفه وتركيبه في مختلف اللغات، ينتهي إلى أنه يعكس وضعية تتأرجح بين السلم من معناه الواضح الصريح وبين الحرب في مدلولها القديم المتعارف عليه (رشيد، 2020).

من المؤسف أن الادبيات التي تتحدث عن التعايش الاجتماعي قليلة، بالمقارنة مع أدبيات الصراع ،وجاءت أدبيات التعايش كرد فعل على الصراعات والحروب، كضرورة للتفتيش عن صيغة للعيش السلمي المشترك، ،وساد الاعتقاد في الفكر الغربي أن الحرب هي القاعدة, والتعايش السلمي حالة استثنائية بين البشر! لذلك معظم الأدبيات عن التعايش،تم صياغتها وفق فهم الفلسفة الغربية لمفهوم التعايش السلمي. (علي، 2020)

ومن معاني التعايش الاصطلاحية يمكن القول: إن التعايش هو التفاهم العفوي بن مختلف مكونات المجتمع لقبول كل منهما الآخر شريكا في الوطن والمصير مع وجود ضمان (قانوني أو عرفي) على ألا يتأثر هذا التعايش حال الاختلاف بحالة عميقة من التوتر والتربص المتبادل. ولهذا يمكن الإلتزام بالنتيجة الطبيعية لغاية التعايش. والقول: إن التعايش المستدام هو ذلك التعايش القائم على مرونة تبادل المصالح، ومفاهيم المسالمة بين مكونات المجتمع الواحد (الشهري، 2016). و(السمة الرئيسة في تعريف كلمة (التعايش) هو علاقتها بكلمة (الاخرين) والاعتراف بأن (الاخرين) موجودون ، التعايش يعني التعلم للعيش المشترك، والقبول بالتنوع،، بما يضمن وجود علاقة ايجابية مع الاخر..فعندما تكون العلاقة ايجابية وعلى قدم المساواة معه فان ذلك سوف يعزز الكرامة والحرية والاستقلال، وعندما تكون العلاقات سلبية ومدمرة فان ذلك سيقوض الكرامة الانسانية وقيمتنا الذاتية (جبر، 2016)).

ولا بد من القول: إن التعايش يحمل مضامين اجتماعية واقتصادية وسياسية ودينية تهدف جميعها إلى إيجاد بيئة ملائمة لإسعاد المجتمع البشري، (شيخو، 2020) وفي هذا المنطلق قال ابن خلدون " أن الاجتماع الانساني ضروري" (خلدون، 1987) لهذا

ارتبط مفهوم التعايش بعدة مفاهيم وقيم انسانية كالتسامح، والاعتراف بالاخر، والتعدد والتنوع. وقد اعتبرت هذه القيم والمبادئ هي الاسس المهمة لبناء التعايش وقد اهتم العالم ومنظماته الدولية بها وعمل على التأكيد عليها واشاعتها لايجاد بيئة يسودها السلام محليا وعالميا، وخصصت لها ايام للاحتفاء والاحتفال بها ، كيوم التسامح العالمي (16 تشرين الثاني) ويوم التنوع الثقافي الذي خصص له يوما عالميا هو (21 مايس) (جبر، 2016).يقول أنطونيو تشايزفي هذا الصدد: التعايش يعني " مجتمعات متكاملة يعيش فيها الناس من مختلف الاعراق والاجناس والاديان منسجمين مع بعضهم بعضا, ولا يتطلب ذلك أي شئ للتعايش سوى ان يعيش اعضاء تلك الجماعات معا من دون أن يقتل الآخر" (تشايز، 2006).

2. دور الحوار والتسامح في تعزيز التعايش السلمي في المجتمع :

الحوار وسيلة تفاعلية حيوية رافقت الإنسان المتحضر وهو يبني حضارة العالم الذي نعيشه، لإيمانه أن القطيعة والصدود وهما يناقضان الحوار، لن يزيدا الحياة إلاّ فشالاً وتعقيداً وهو بذرة لنماء الحياة في كل مجالاتها: الفكرية والدينية والسياسية، حيث، يعد وسيلة لقهر التسلط والاستبداد الفكري والسياسي، ووسيلة لنبذ التعصب والإنغلاق وتجنب العنف والإرهاب بكل ألوانه. (الزيدي، 2018) إن جميع الأديان السماوية تهدف إلى إصلاح النفوس وافراغها من الكراهية والعنصرية والتعصب، وتهدف إلى زرع بذور التسامح والإيثار والتعايش السلمي المبني على الإحترام المتبادل ولكن ظهور أيديولوجيات حديثة حاولت ولمصالحها الخاصة أن تفرغ الأديان من محتواها الجوهري مستغلة ضعف الثقافة في بعض المجتمعات مما أدت الى حدوث خلافات كبيرة وظهور حالات التعصب ورفض الآخر وتنامي علاقات التشنج والتي وصلت في كثير من الأحيان الى نشوب حروب عديدة أحرقت الأخضر واليابس وراح بسببها آلاف الأرواح البريئة (الطائي، 2020). ونتج عن العولمة زيادة في نقاط التفاعل والاحتكاك بين الثقافات أدت إلى توترات وصدامات ومطالبات تتعلق بالهوية، مما جعل أهمية الحوار بين الثقافات والأديان تزداد، باعتباره أداة تساهم في نشر الوعي السليم للحد من تداعيات هذه الصراعات والتوترات التي تهدد استقرار المجتمعات البشرية، وتؤجج الأزمات الإقليمية والدولية وتخِل بالسلام العالمي، وتؤثر سلباً على تقدم الشعوب (السموني، 2020). سنعرض في هذه المبحث أهمية دور الحوار والتسامح في تعزيز التعايش السلمي في المجتمع ذلك من خلال أولاً: أهمية الحوار وعلاقته بالتعايش السلمي ثانيًا: معوقات نشر ثقافة الحوار في المجتمع. وأخيرا سنلقي الضوء على خصائص ثقافة التسامُح ومن ثم العوامل التي تدفع بالتسامح إلى تعزيز التعايش السلمي في المجتمع.

2.1 أهمية الحوار وعلاقته بالتعايش السلمي

يقول ابن خلدون في مقدمته «إن الإنسان اجتماعي بطبعه. وهذا يعني أن الإنسان فطر على العيش مع الجماعة والتعامل مع الآخرين فهو لا يقدر على العيش وحيدًا بمعزل عنهم مهما توفرت له سبل الراحة والرفاهية» (خلدون، 1987). ونتيجة لهذا الإحساس بضرورة التلاقي والتواصل والتحاور بين شعوب العالم المختلفة عقدت على مدى العقود الخمسة الأخيرة من القرن الماضي العديد من اللقاءات والمؤتمرات والندوات العلمية والثقافية من أجل تحقيق أرضية مشتركة للتعاون والحوار بين الأديان والحضارات وان ذلك يمثل أرقى صيغ الحوار مع (الآخر) في عصر المدنية والتحضر (الداغر، 2013).

لعل من أهم التحديات التي تواجه المجتمعات الإنسانية اليوم هو كيفية التعامل مع الاختلاف الثقافي والديني والعرقي. ومع تزايد وتيرة التحريض على العنف وارتكاب الفظائع تحت مبررات دينية وعرقية، أصبح موضوع إدارة التنوع، من خلال صناعة التعايش، داخل المجتمع الواحد، أو بين المجتمعات الإنسانية، أمراً في غاية الأهمية، ليس فقط لأصحاب القرار السياسي، بل لأفراد المجتمع كافة (معمر، 2017). ومن هذا المنطلق أصبح مفهوم التعايش أحد المفاهيم المحورية الهادفة لإدارة التنوع في المجتمعات الإنسانية بشكل سليم، وتحويله إلى قوة دفع لتعزيز التماسك المجتمعي وتحقيق السلام بين شعوب العالم. لأن التعايش، كضرورة مطلقة لتسوية العلاقات الإنسانية، في المجتمعات والأديان والأوطان، لم يعد منها مفر؛ إذ إن البديل للتعايش هو، بالضرورة، الإقصاء والإلغاء وما يترتب عليها من عنف وفوضى، وعنف مضاد (معمر، 2017).

إن الحوار المجدي هو الذي يقوم على العلم ، فالجهل لا يكون معه حوار بل تعصب، كما أن الحوار يحتاج منهجاً يعتمد عليه حيث أن الفوضى في تبادل الحوار دون تحديد للمنطلقات، ودون تحديد لمقاصد الحوار وغاياته، وتحديد موضوع الحوار. كما أن الحوار لا يجدي إن كان ً من طرف واحد وبلا ضوابط، أو أن يكون مقرونا باللبس وعدم الوضوح والشفافية في الطرح، فهو بذلك يكون حوار مجموعة أشخاص أصيبوا بالصمم، ومثل هذا الحوار لن يكون له تأثير، ولا ثمار تجنى من ورائه (السحمراني، 1994).

إن الحوار ظاهرة إنسانية مرتبطة بوحي العقل والهامه، وراجعة في نشأتها إلى طبيعةٍ الإنسان المفكرة الناطقة، فهو يؤمن بفكرة معينة فيعرضها ويوضح أهدافها ويدافع عنها, فإذا خالفه في الرأي أحد استجمع أفكاره وقدّمها عن طريق حوار يبعث إلى إشغال الذهن واعمال الفكر ليضيف إلى عقولنا معلومات جديدة، وليفتح أمام أهل العلم آفاقا واسعة في المعرفة، واذا أردنا للحوار أن يبقى عذباً رقيقاً بعيداً عن التنكيل والمهاترة، فلابد أن يرتبط بمجموعة من الآداب والأخلاق النبيلة منها : عفة اللسان والقلم ، حسن الصمت والإصغاء، احترام شخصية المحاور ، الحوار الهادئ، الحوار بمودة واحترام مع الآخرين (القوسي، 2008).

بالاضافة إلى كل هذا هناك محددات ينتغي توافرها للحوار مع الآخر حتى يؤتي ثمارها: (الداغر، 2013)

1. أن يكون الحوار متكافئا، تتوفر فيه شروط المساواة والإرادة المشتركة، بحيث تتعدد مستوياته ليكون حوارا ش ً ً املا يدور مع مختلف الشرائح والفئات سواء على المستوى الحكومي أو على مستوى المؤسسات الأهلية والدولية التي لها علاقة بأمن واستقرار وتعاون الشعوب.
2. أن يهدف الحوار إلى تحقيق المصالح المشتركة للطرفين التي لها علاقة بالتقدم العلمي في كافة مجالات الحياة الفكرية والثقافية والاقتصادية ورفاهية البشر وتحسين مستواهم الاقتصادي
3. أن يكون الحوا ً ً ر متحضرا ومترفعا عن الموضوعات التي تتعلق بالخصوصية العقائدية والأخلاقية للأمم والشعوب التي من شأنها إذا أثيرت أن تؤدي إلى إيقاف الحوار أو عدم فاعليته.
4. أن يكون الحوار معدا ً وفق برامج مسبقة ويكون الغرض منها التواصل والتفاهم لتحقيق التفاعل الحضاري، بعيدا عن فكرة التصارع والتنازع بين الحضارات والثقافات المختلفة.

واخيرا نستطيع القول أن من أهم القيم الداعمة لمبدأ التعايش، هو قيمة الحوار؛ لأن الحوار هو عنوان التعايش والتعبير الأسمى عن دلالته؛ بل يمكننا القول إن التعايش، في حقيقته، إنما هو أشكال متعددة من الحوار، ناطقة وصامتة. كما أن الحوار هو النشاط الفكري الأول في مسيرة المجتمع نحو التعايش وبالحوار يمكننا استطلاع آراء المتحاورين، وتقييمها وتطويرها باستمرار عبر الفكر والرأي والرأي الآخر. وإن العلاقة بين الحوار والتعايش علاقة شرطية يقتضي وجود إحداها وجود الأخرى بالضرورة (معمر، 2017).

3. دور ثقافة التسامُح في تعزيز التعايش السلمي في المجتمع:

يُعدّ مفهوم التسامح اليوم مقوماً من مقومات الحداثة السياسيّة والاجتماعيّة لقدرته على حل الإشكالاتّ الناتجة عن التعددية داخل المجتمع الواحد وبين المجتمعات. فهو البديل العادل للتعصّب ورفض حقّ الآخر في الاختلاف، والسبيل الوحيد إلى تعايش سلميّ قائم على الاستواء في الحقوق بين مختلف مكونات المجتمع. ولئن اكتسب هذا المفهوم اليوم جملة من الخصوصيّات الدلاليّة المقترنة بقضايا التحديث في مختلفً مستوياته, وخاصة بقضايا الديمقراطيّة وحقوق الإنسان فإنه لم يكن غائبا عن أفق التفكير والممارسة السياسية في القديم بما هو قيمة أخلاقية وسياسية مقترنة بقيمة العدل ومحددة لتعامل سلمي داخل المجتمع (الوريمّي، 2016).

يعتبر سلوك التسامح مع الآخر من أهم المطالب الإنسانية في العصر الحديث، خاصة في المجتمعات ذات الهويات المختلفة، وذلك لما يحمله التسامح من مزايا وخصائص اجتماعية وحضارية، تضمن للمجتمع التقدم والنمو في ظل التعددية الثقافية، بل تجعل من التعددية نقطة قوة تثري التجربة الإنسانية وتوسع من مداركه الفكرية وإسهاماته الحضارية (إبراهيم، 2021).

ميز جون لوك في وقت مبكر بين نوعين من التسامح الذي تبناه ودعا إليه لأسباب دينية مذهبية بحكم ظروف واقعه المعاش، فهو لديه إما تسامح شكلي (مظهري) أو تسامح موضوعي (جوهري)، والتسامح الشكلي لديه هو أن تترك المعتقدات والشعائر الدينية أو المذهبية الأخرى وشأنها ، ونقيضه هو إرغام أصحاب تلك المعتقدات الأخرى (غير الدين أو المذهب الرسمي أو السائد) على الخضوع لهيئة دينية في الدولة أو الكنيسة، أما التسامح الموضوعي لديه فلا يقتصر على مجرد ترك الأديان والمذاهب الأخرى و عقائدها وشعائرها وشأنها، بل هو أساسا اعتراف ايجابي بأنها عقائد دينية أو مذهبية ممكنة لعبادة الله (لوك،، 2006). ويقدم محمود حمدي زقزوق تصنيفا مماثلا لأنواع التسامح من حيث طبيعته، لكنه يسميها التسامح السلبي والتسامح الايجابي، حيث يبدو النوع الأول (التسامح السلبي) متطابقا مع التسامح الشكلي (المظهري)، إذ لا ينشأ عن عقيدة حقيقية، بل تمليه، إن لم نقل تفرضه، الظروف السياسية والاجتماعية التي تبين أن عدم التسامح سيؤدي إلى شرور كبيرة، فيكون التسامح هنا من المندوب لا من الواجب (لوك،، 2006). وبناءً على ما مضى، فالتسامح موقف إيجابي ومتفهم من العقائد والأفكار والممارسات، يسمح بتعايش الرؤى والاتجاهات المختلفة بأمن وسلام في مجتمع واحد (إبراهيم، 2021).

يعد التسامح السياسي والفكري أيضا قيمة ضرورية للتعايش تفاعل الجماعات المختلفة سياسيا وفكريا وهو ضروري للدولة التي يجب أن لا تقتصر هويتها على جنس أو دين أو عقيدة، لأن في ذلك إهدارا لقيمة المواطنة ونزوعا إلى التفرد

والتسلط، فالتسامح السياسي يقوم على الإقرار بالمساواة بين المواطنين وتمتعهم جميعا بحقوق وحريات متساوية، ويعني ذلك عدم رفض الآخر ولا تهميشه ولا إقصائه لأن السياسات والأفكار الأخرى المختلف كلها تصب في الصالح العام وتناهض الشمولية الاطلاقية وتقر النسبية والتعددية وحق الاختلاف (حافظ، 2009).

وقد تُصنف ثقافة التسامح والقيم المتصلة بها ضمن القيم الأخلاقية المرتبطة بالضرورات الإنسانية لنبذ ما لدى البشر من استعداد للتنافر والعداء. ويتطلب تعزيز مفهوم التسامح الإنساني في المجتمع؛ عدداً من التطبيقات العملية، منها: نبذ العنف والتجريح في الخطاب والسلوك حال التعامل مع الآخر (إبراهيم، 2021).

ويعد التسامح ضرورة وجودية وقيمة إنسانية تفرضها سنة الوجود المنطلقة (دواح، 2019):

1. إن التنوع الإنساني سنة كونية كما في قوله تعالى (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا) ولا يتحقق التعارف إلا بدلالة الحوار والالتقاء والتفاهم التي هي من شروط التسامح ومتطلباته.
2. إن التنوع الديني، الثقافي..المرتبط بالتنوع الإنساني، ينعكس على الأمزجة والميول والمذاهب والطموحات مما يؤدي إلى تمايز في المنطلقات الفكرية للبشر وتغاير في الأنماط السلوكية

وفي الختام نقول أن تطبيق مفهمو التسامح يضفي جواً من الأمن والطمأنينة على المجتمع، مما يسهم في زيادة الإبداع والتوسع في الإنتاج الحضاري. ويعتمد مفهوم التسامح الإنساني على منظومة أخلاقية متكاملة، تحتوي على مجموعة من القيم الكونية؛ كقيمة التعايش، وقيمة التقبل للآخرين، وقيمة الاحترام المتبادل مع المختلف فكرياً وثقافياً في المجتمع.

الخاتمة

لقد توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج التي تتمثل بما يلي:

لا يعني التسامح وفقا للمفهوم الكلاسيكي التنازل عن الحق أو اللامبالاة وعدم الاهتمام واللين والتساهل، بل أن مفهومه المعاصر يعني الاعتراف بالآخر وقبول تنوعه واختلافه (سياسيا، دينيا، قوميا، فكريا، ثقافيا، حضاريا)، لأن الاختلاف سنه كونية عامة بحكم التنوع العالمي والإقليمي والوطني والذي هو سمة عامة تعيشها وتتعايش معها كل المجتمعات والدول فكل مجتمع وكل امة وكل دولة لها قيمها وعادتها وتقاليدها وثقافتها وأهدافها الخاصة بها بما يجعل التسامح ليس مجرد حق لصاحبه بل واجب عليه أيضا لضمان التعايش السلمي والتفاعل الايجابي بين الناس بما يتناسب ومبدأ النسبية وعدم وجود الأحادي والمطلق في كل ما هو أنساني واجتماعي.

إن الحوار وسيلة أساسية للتسامح فلا يمكن أن يكون هناك تسامح دون وجود آلية للتفاهم وتبادل الآراء بما ينتهي بالإقناع والاقتناع وقبول الأخر والاعتراف به أو بخصائصه المميزة، و لكن ليس بصورة دائمة فالحوار وسيلة لتحقيق التسامح لكنه لا ينتهي بالضرورة بتحقيق التسامح ما لم توفر المقومات اللازمة لذلك.

- تعد المجتمعات ذات التعددية الاجتماعية اكثر حاجة الى التعايش السلمي لما يحققه لها من مزايا ومنافع تنعكس ايجاباً على عموم المجتمع.

- ضرورة اعتماد أسس وآليات صحيحة ملائمة ومنسجمة مع واقع المجتمع، لضمان نجاح تحقيق التعايش السلمي في سبيل انجاز السلم الاجتماعي.
- الارتقاء بوعي مكونات المجتمع، عبر القنوات والوسائل المتعددة، وذلك عبر توعيتها بالأساليب الصحيحة للتنشئة الاجتماعية – السياسية، بما يجعلها اكثر وعياً ونضجاً واستيعاباً لمتغيرات الواقع الاجتماعي.
- تعزيز المواطنة مفهوماً وممارسة من خلال تشريع قوانين وأنظمة مدعومة من قبل الدولة.
- العمل على نشر ثقافة الحوار والتسامح في المجتمع بما يضمن العيش بسلام وأمان.

قائمة المصادر والمراجع

إبراهيم, ع. ا .(2021) .ثقافة التسامح وتقبل التعدد الثقافي.. وتطبيقاته في المجتمع .*دار زايد للثقافة الاسلامية* Retrieved . from https://www.zhic.gov.ae/Articles/Promoting-A-Culture-of-Tolerance-and-Multiculturalism-In-Society

أحمد, إ. أ.–ع.–ع.–م .(2004) .*المعجم الوسيط* .

الأنصاري, ا. م .(2006) .*لسان العرب* .Vol)المجلد الثاني .(بيروت: دار نوبليس.

الجابري, م. ع) .١٩٩٧ .(*قضايا في الفكر المعاصر* .بيروت :مركز دراسات الوحدة العربية.

الحسين, م. ب .(1991) .*صحيح مسلم* .بيروت-لبنان: دار الكتب العلمية.

الداغر, م .(2013) .دور وسائل الإعلام فى نشر ثقافة الحوار وتعزيز التعايش مع الآخر لدى الشباب الجامعى.

الدين, ب. ص .(2009) .مفهوم التسامح في الاسلام وصلته بمفهوم الواجب، .*ورقة بحث مقدمة لمؤتمر التسامح الديني في الشريعة الاسلامية* ,،ص 4؛.

الزبيدي, م. م1414) .هـ .(*تاج العروس* .بيروت :دار الفكر.

الزيدي, ع. ا .(2018) .الحوار السياسي النبوي: شواهد وتطبيقات .*جامعة بغداد / كلية العلوم االسالمية* Retrieved . from https://www.researchgate.net/publication/325193402

السحمراني, أ .(1994) .الإعلام أولاً .*دار النفائس*.

السحمراني, أ .(2019) .*الحوار في الإسلام (آدابه وقواعده)* . دار النفائس.

السموني, خ. ا .(2020) .الحوار الثقافي وأثره على التماسك الاجتماعي .*الجزيرة*.

الشـهري, ف. ب .(2016) .*التعايش المجتمعـي بـين التحديـات والفـرص. التعايش المجتمعي وأثـره في تعزيـز اللحمـة الوطنيـة* .الرياض: مركـز الملـك عبدالعزيـز للحـوار الوطنـي.

الطائي, ا. م .(2020) .الحوار ودوره في ترسيخ اسس التعايش السلمي .*مجلة البحوث الرتبوية والنفسية*.

العربية, م. ا .(1989) .*المعجم الوسـيط* .Vol)الطبعة الثالثة .(القاهرة،: دار الفكر.

الفيروزآبادي, م. ا .(2008) .*القاموس المحيط* .القاهرة: دار الحديث القاهرة.

القوسي, م .(2008) .ضوابط الحوار في الفكر الإسلامي .*مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني*.

النداوي, ح. ن .(2008) .، ثقافة التسامح وجدلية العلاقة بين الأنا والآخر .*المجلة السياسـية والـدولية، العدد ٨* ,ص 144.

الوريمّي, ن .(2016) .*اختلاف وسياسة التسامح* .منشورات مؤسّ سة »مؤمنون بال حدود« للدراسات.

جبر, ش .(2016) .التعايش في مجتمعات التنوع .*الحوار المتمدن*.

حافظ, ع. ا .(2009) .ً *التحول الديمقراطي في العراق الواقع..المستقبل* .القاهرة: مؤسسة مرتضى مصر للكتاب العراقي،.

خلدون, ع. ا .(1987) .*المقدمة* .بيروت: دار القلم.

دواح, ب. خ .(2019) .*التسامح الديني وأثره على التعايش السلمي في المجتمع العراقي* .

ديلو, س. م .(2008) .*التفكر السياسي والنظرية السياسة والمجتمع المدني*) .ت. ف. خليفة (.Trans ,القاهرة: مكتبة مدبولي.

رشيد, م .(2020) .التعايش السياسي؛ جدلية التعايش والاندماج والهوية In .م. ش. أوغلو .*التعايش وأشكاله من منظور العلوم الانسانية* .(18-79 .pp)أنقرة: سوناتا للنشر.

زمزمي, ي .(1994) .،*الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة* .،دار التراث.

شيخو, ر .(2020) .التعايش والتسامح الدين: رؤية تارخيية من خلال نماذج إسلامية In .م. ش. أوغلو .*التعايش وأشكاله من منظور العلوم الانسانية* .(78-38 .pp)انقرة: سوناتا للنشر.

عجك, ب. د .(2007) .*الحوار الإسلامي المسيحي* .دار قتيبة للطباعة والنشر.

علي, س. ا .(2020) .الهوية الثقافية السورية بين (التعايش والصراع) في مرحلة (الثورة-الحرب) 2012-2020 In .م. ش. أوغلو ,*التعايش وأشكاله من منظوز العلوم الانسانية* .(pp. 4- 35)انقرة.

علي, ي .(2006) .*مفهوم التسامح بين الاسلام والغرب* .طرابلس: دار الدعوة الإسلامية للنشر.

لوك، ج .(2006) .*رسالة في التسامح*) .ت. و. بدوي (.Trans ,بغداد :مركز دراسات فلسفة الدين.

معلوف, ل) .١٤٢٣هـ .(*قاموس المنجد في اللغة* .Vol)الطبعة الرابعة .(بدون مكان.

معمر, ف. ب .(2017) .التعايش... خيارنا من أجل المستقبل .*الرأي*.

ميناو, ا. ت .(2006) .*تخيل التعايش معا: تجديد الانسانية بعد الصراع الاثني العنيف*) .ف. السروجي (.Trans ,عمان، [الأردن]: الاهلية للنشر والتوزيع.

نصر, ا. و1270) .هجري .(*القاموس المحيط* .اليند : مطبعة بوالق.

وطفة, ع. ا) .٢٠٠٥ .(التربية على قيم التسامح، ، .*مجلة التسامح، العدد ١١* ,ص ٢١٣.